أرسطو

حياته:

ولد «أرسطو» في مدينة (أسطاغيرا) في (مقدونيا) شمال مدينة (أثينا) عام 384 ق. م، من أُسرة توارثت مهنةَ الطِّبِّ أباً عن جدٍّ. وكان والده طبيباً، وصديقاً للملك جدِّ «الإسكندر» الكبير.

وقد شبَّ «أرسطو» عضواً في الجمعية الطبيَّة، وتوفَّرت أمامه كلُّ الفُرَص العلمية. وبعد موت والدَيه، انتقل إلى (أثينا) في السابعةَ عشرةَ من عمره، ودخل أكاديميَّة «أفلاطون»، وتتلمذ عليه، واستقرَّ بين حدائق الأكادمية الهادئة، وقضى فيها عشرين سنةً حتى موت أُستاذه. وكانت هذه السِّنُونَ من سنيِّ «أرسطو» السعيدة؛ فكان تلميذاً لامعاً تحت إشراف أُستاذٍ لا يُضاهَى، يسير كعُشَّاق اليونان في حدائق الفلسفة.

لقد أدرك «أفلاطون» عظمةَ تلميذه الجديد، القادم من شمال البلاد التي كانت (أثينا) تَعتبرُها بلاداً هَمَجيّةً. وقد وصفه «أفلاطون» مرةً: أنَّه هو الذَّكاءُ المُجسَّمُ في الأكاديمية.

كان «أرسطو» غنيّاً مُتْرَفاً. لقد أنفق بإسراف في شراء الكتب وجَمعها؛ مما دفع «أفلاطون» إلى تسميته وتسمية بيته: بأنَّ بيتَ «أرسطو» بيتُ القارىء.

وقد أنشأ «أرسطو» مدرسةً لتدريس الخَطابَة. وفي عام 345 ق. م، دعاه الملكُ «فيليب» ملكُ (مقدونيا) إلى بلاطه، وعَهدَ إليه تثقيفَ ابنه «الإسكندر»، فذاعت شُهرةُ «أرسطو» في دعوة أعظم ملك إلى أعظم معلِّم.

كان «الإسكندر» عند قدوم «أرسطو» شاباً في الثالثة عشرةَ. كان عاطفيّاً مُتوحِّشاً، مُصاباً بالصَّرَع كُحُولياً. يَصرفُ وقتَه في ترويض الخيل المتوحِّشة، ولكنَّ «أرسطو» استطاع أن يكسبَ حُبَّ «الإسكندر» محبةً لا تَقلُ عن محبَّة أبيه. فقال: ((بالرَّغم من أنَّ والدي أنجبني إلى هذه الدنيا، فإنَّ «أرسطو» علَّمني من الحياة، وهناك مثلٌ يوناني يقول: إنَّ الحياة هبةُ الطبيعة، أمَّا الحياةُ الجميلةُ فهي هبةُ الحكمة)).

وترك «الإسكندرُ» الفلسفةَ بعد سنتين ليَرتقيَ العرشَ، ويفتحَ العالَمَ. والواقعُ أنَّ رغبة «الإسكندر» في الوحدة استمدَّت قوتَها وعَظمتَها من معلِّمه أعظمِ مفكِّرٍ في تاريخ الفكر. فكان

الغزوُ السياسيُّ من جانب التلميذ، والغزوُ الفلسفيُّ من جانب المعلِّم، ليسا سوى جانبَين مختلفَين لمشروعٍ واحد نبيلٍ وحماسيٍّ؛ حيث يقوم مَقدُونيّان عظيمان بتوحيد عالَمَين تَسودُهُما الفوضى وعدمُ النظام.

ثم أنشأ «أرسطو» مدرسةً وعُمُرُه ثلاثٌ وخمسون سنةً، بالقرب من هيكل «أبولون» اللُّوقيِّ، بعد عودته إلى (أثينا)، وعُرِفتْ باسم: (لوقيون)، وكان «أرسطو» يتحدَّث إلى تلامذته، ويُناقشُهُم وهو يتمشَّى في الحديقة، فعُرِفَت فلسفتُهُ بالمُشائيَّة. وبعد موت «الإسكندر» تعرَّض «أرسطو» للخطر الأثْيْنيِّ؛ لصلَته بالمَقْدونيِّين، فهرب من (أثينا)، وترك مدرستَهُ لصديقٍ له، ولجأ إلى صديقٍ آخرَ له في (خلَكيس) في (أوبيه) ثمَّ توفِّي عام 322 ق.م، وعُمُرُه: اثنتان وستُّون سنةً.

أعمال أرسطو: مؤلفاته ـ كتبه:

كان «أرسطو» قد أسَّس مدرسةَ (اللوقيون)، ونَظَّمها تنظيماً جيداً. كان يُدرِّسُ فيها العلومَ الطبيعيةَ، وعلمَ الأحياء. وقد أمر «الإسكندرُ» معظمَ رجاله بمَدِّ «أرسطو» بكلِّ الموادِّ الحيوانية والنباتية، وكان تحت تصرُّفه ألفُ رجل من رجال «الإسكندر»؛ يجمعون له ما يشاءُ، وقد استطاع بهذه الثروة الماديَّة أن يُنشِئَ أوّلَ حديقة حيوانية شاهدها العالَم.

وقد أمدَّه «الإسكندرُ» بـ: (800) وزنة من المال، أي: ما يُعادل: 4 ملايين دولار، وقد كان «أرسطو» غنياً، ذا دخلٍ واسعٍ؛ مما يُشيرُ إلى أنَّ «أرسطو» و«الإسكندرَ» كانا يُنفقان المالَ الوفيرَ، ويَجعلانه في خدمة العلم. وبذلك أبدع «أرسطو» في علم: الفَلَك، والطبيعة، والأحياء، رغم عدم توفُّر المُعدّات اللازمة، والوسائل والأدوات العلمية الحديثة، كـ: المراصد، والموازين، والمجهر، وغيرها. كلُّ ذلك ممَّا أبعد «أرسطو» عن التَّجربة، والاختبارات، وإنَّما كان يعتمدُ على الملاحظة الكونية المستمرَّة. ومع ذلك: فإنَّ المعلومات التي دَوّنها كانت أساساً لتقدُّم العلم، ونصوصاً للمعرفة لمدة ألفي سنة.

كتبه:

بلغت كُتبُ «أرسطو»: 400 كتاب، أو ألف كتاب.

مؤلفاته:

تقسم إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ المحاوراتُ التي نشرها في حياته.

2 ـ مجموعة مواد بنى عليها كُتُبَه العلميةَ.

3 ـ مؤلَّفٌ من كتبه العلمية نفسها.

وقد ضاع القسمان الأوَّلان، وبقي الثالثُ، ويمكن ترتيبُهُ كما يلي:

1 ـ المنطق: سَمَّاه: (الأُوْرْغانون)، أي: (الآلة). ويَشملُ ما يلي:

1 ـ المقولات، 2 ـ الموضوعات، 3 ـ المقدمات، 4 ـ التحليلات، 5 ـ القياس، 6 ـ البرهان 7 ـ السفسطة، 8 ـ كتاب العبارة (القضايا)، 9 ـ المواضيع الجدلية، 10 ـ الخطابة والشعر.

2 ـ الطبيعيات: وتَشمَلُ:

السماء والعالم ـ الكون والفساد ـ كتاب النفس ـ الحيوان ـ التاريخ الطبيعي.

الطبيعيات الصغرى؛ يعني: الإنسان: الذاكرة ـ الحياة والموت ـ التنفس ـ الحس والمحسوس.

3 ـ الأدب: ويَشملُ: البلاغةَ، والعروضَ.

4 ـ الفلسفة: وتَشملُ: الميثافيزيقيا (ما بعد الطبيعة) ـ العلم الإلهيّ ـ الأخلاق السياسية.

لقد كانت فلسفة «أرسطو» غَزْواً للعالَمِ أعظمَ وأفضلَ من غزو «الإسكندر» للعالَمِ وانتصاره، ولكنَّ فلسفة «أرسطو» لا نجد فيها الكتابات ذات الأسلوب الجميل اللامع، كما في كتابات «أفلاطون» وحواره البهيج، بل نرى في فلسفة «أرسطو» الكتابَ العلميَّ الدقيقَ؛ لأنَّه يَعتبرُ أنَّ العلم هو العمودُ الفقريُّ للفلسفة، ومع ذلك: كَتَبَ محاوراتٍ أدبيةً؛ لكنَّها ضاعت، ولم يُنشَر في حياته إلاَّ كتاباتٌ في المنطق والبلاغة.

فلسفة أرسطو:

كان «أرسطو» يؤمن بأنَّ العقل قادرٌ أنْ يصلَ إلى معرفة المعرفة التي هي الحقيقةُ.

وقد دَرسَ «أرسطو» مذاهبَ الفلاسفة قبلَهُ ونَقَدَها، وقال: بأنَّهم عَثَروا على بعض الحقيقة، ولكنَّهم ضلُّوا السَّبيلَ، مثل: «فيثاغورس» و«أفلاطون».

العلم اليونانيُّ قبل أرسطو:

يقول «رينان»: «إنَّ «سقراط» أعطى للعالَم الفلسفةَ، و«أرسطو» أعطاه العلمَ. فقد كانت الفلسفةُ وكان العلمُ قبل «سقراط» و«أرسطو»، ولكنَّ العلمَ كان جَنيناً قبل «أرسطو»، ووُلِدَ بمجيئه».

وقد كانت الشعوبُ التي سبقت اليونان، تُفسِّرُ كلَّ ظاهرة طبيعية غامضة تفسيراً دينيّاً، إلى أنْ جاء «طاليس»، و«أنكسيمندرس» و«أنكسيمانس»؛ الذين فسَّروا الظَّواهرَ العلميةَ تفسيراً علمياً صحيحاً، كـ: الكسوف والخسوف، المادة وأشكالها، التكاثف والتبخر، الكواكب وأصلها.

وقد استطاع «أرسطو» أن يجمع بين العلم الفيزيقيِّ، والعلمِ الأخلاقيِّ.

المنطق:

يُعتَبَرُ «أرسطو» أوّلَ مَن وضع علمَ المنطق، حتى أصبح مَنطقُ «أرسطو» ليس علماً، بل آلةً للعلم، و سَمَّاه: (الأورغانون)، وهو: العلم الذي يُساعِدُنا على التفكير الصحيحِ، وهو: الذي يجعلُنا نُميِّزُ بين الخطأ والصواب.

إنَّ المنطق هو: أنْ تُخضِعَ كلَّ عبارة هامّة في حديث جدّيٍّ إلى أشدِّ أنواع التعريفِ والتحديدِ و الفَحْصِ، إنَّها طريقةٌ صعبةٌ، وامتحانٌ لا رحمةَ فيه للعقل.

والمنطق عند «أرسطو»: يبدأ بما يلي:

1 ـ المقولات 2 ـ العبارة

آ ـ التحليلات الأولى: دراسةُ شكلية القياس.

ب ـ التحليلات الثانية: البرهان المنطقيُّ.

جـ ـ التحليلات الثالثة: السَّفسطةُ، ودراسةُ البراهين.

المقولات عند أرسطو عشر:

الكمُّ: كالمقادير والأطوال	الإضافة: كالضعف
الكيف: الأبيض	الملك: ذو مال
الوضع: جالس	الانفعال: ينقطع
الفعل: يقطع	المكان: في المدرسة
الجوهر: كالإنسان	الزمان: الأمس

كتاب العبارة:

يُحدِّد فيه «أرسطو» القضيةَ، ويقول: إنَّها مؤلَّفةٌ من جزئين: الاسم، والفعل.

الاسم: كلمةٌ مجرَّدةٌ عن الزمان. والفعل: كلمةٌ تدلُّ على الزَّمان.

الحكمة: هو لفظٌ دالٌّ على أنَّ الشيء موجودٌ أو غيرُ موجود، وهو: إمَّا مُوجِبٌ، أو سالبٌ، كُلِّيٌّ أو جُزئيٌّ، مثال: 1 ـ كلُّ إنسانٍ فالقٌ، 2 ـ زيد أبيض.

القياس:

إنَّ أهمَّ ما أدخله «أرسطو» على الفلسفة هو مذهبُهُ في القياس.

والقياس هو: مجموعةُ قضايا، ومُقدِّماتٍ مُلزَمٌ عنها نتيجةٌ بالضرورة.

ويتألف القياس من:

مقدمة كبرى، ومقدمة صغرى، ونتيجة، وثلاثة حدود: حد أكبر، حد أوسط، حد أصغر.

والقضايا: إمَّا كليّةٌ، أو جُزئيّة، أو مهملة، مثال: ليست اللَّذَّةُ خيراً. مثال:

كل إنسان فان	مقدمة كبرى	م ك
«سقراط» إنسان	مقدمة صغرى	م ص
«سقراط» فان		نتيجة

وفي كلِّ قياسٍ يُلغى الحدُّ الأوسطُ. فالحدُّ الأكبرُ يُلغي الحدَّ الأوسطَ.

فالحدُّ الأكبر: (الفناء)، والحدُّ الأوسط: (إنسان)، والحدُّ الأصغرُ: («سقراط»).

الفلسفة الأولى:

يُقسِّم «أرسطو» العلومَ إلى: نظرية، وعملية، وصناعية.

العلوم النظرية:

تَشملُ الإلهيات ـ (ما وراء الطبيعة) أو الفلسفة الأولى، والطبيعيات، والرياضيات.

وإنَّ غاية الفلسفة هي: معرفةُ الكائن بما هو كائنٌ بغضِّ النَّظَر عن صفاته.

وإنَّ الحكمة الحقَّةَ هي: معرفةُ العلل الغائبة الأربع: الفاعلة ـ الصورية ـ المادية ـ الغائبة.

وإنَّ الكائنَ موجودٌ، ويُمكن معرفتُهُ: بتحديد جوهره، وطبيعته، وصورته، وعلَّته، ومَاهيَّته.

الجوهر والأعراض:

أمَّا الجوهر: فهو ما ليس في موضوعٍ، ولا يُقال على موضوعٍ، مثل: إنسان. فكلمة (إنسان) جوهرٌ، فالإنسان لا وجودَ له في ذاته، وكلمة (زيد) فهو وحدَهُ موجودٌ في الحقيقة. فالمعاني المجرَّدةُ، والأمورُ الرياضيةُ لا تُوجَد بذاتها.

ويقول أرسطو:

((هناك جواهرُ مُفارقةٌ للمادَّة، لا تقع تحت الحواسِّ؛ أوَّلها: الله، والعقلُ البشريُّ الفعَّال: الذي لا يستطيع بعد موت الجسد أن يكون له وجودٌ خارقٌ للجسد.

أما الأعراض: وهي الصِّفاتُ، فهي ليست بجواهرَ؛ لأنَّها لا تُوجد إلاَّ في الأشخاص كلِّها، تكون: 1ـ إمَّا ذاتيةً، كـ: الحرارة في النار

2ـ أو عارضةً، كـ: البياض في الثوب.

وعندما يقبل الجوهرُ صفةً من الصفات، يُصبح عُرْضةً للتغيُّر، ولا يمكن فَهْمُ هذا التغيُّرِ إلاَّ بعد فَهْم المادة والصُّورة ـ القوة والفعل ـ الواسطة والغاية.

المادة والصورة:

الصُّورةُ هي: الشكل الخارجيُّ بمعناها العاديِّ، أما المقصودُ بها هنا: الكمالُ الأخيرُ الذي يجعلُ الشيءَ ما هو عليه. فالصُّورةُ التي تختصُّ بها كلُّ مادّة لا توجد إلاَّ في مادَّتها، وإنَّ كلَّ جوهر مُؤلَّفٌ من مادة (هيولى) وصورته، والصُّورة هي التي تُكيِّفُ الجوهرَ، وكلُّ صورةٍ صورةٌ لِمَا دُونَها، ومادةٌ لِمَا فوقَها. فاللَّوحُ صورةٌ بالنسبة إلى الخشب، ومادّةٌ بالنسبة إلى السرير.

القوة والفعل:

يقول «أرسطو»: ((إنَّ الأشياء المصنوعةَ على نوعين: منها ما هو من صُنعِ الله، ومنها ما هو من صُنع الإنسان؛ إذ يأخذ الإنسانُ المادّةَ ويُعطيها الصورةَ، ولا يستطيعُ أن يختارَ إلاَّ ما يَصلُحُ. فالخشب، والمَعدنُ، والحَجَرُ تَصلُحُ لأنْ تكونَ مادةً للمقعد، أمَّا الصُّوفُ فلا يَصلُحُ أن يكونَ مادّةً للمنشار.

فهناك علاقةٌ طبيعيةٌ بين المادَّة والصُّورة؛ فمادَّةُ الإنسان: لَحْمٌ، ودَمٌ، وعَظْمٌ، لا أيَّة مادَّةٍ من الموادِّ. فكأنَّ الصُّورةَ تَفرِضُ تركيبَ المادة التي ستَحُلُّ فيها.

فالخشب: مقعد بالقوَّة؛ إذا صُنِعَ أصبح مقعداً بالفعل.

والحطب: نارٌ بالقوَّة؛ إذا احترق أصبح ناراً بالفعل.

والبذرة: شجرةٌ بالقوَّة؛ إذا استُنبتَت أصبحت شجرةً بالفعل.

ولقد أنكر بعضهم القوَّةَ، ولكنَّ «أرسطو» يرى فرقاً بين:

آ ـ التي تصبح، ب ـ كالحديد الذي يصبح سيفاً، مثلاً.

وبين:

آ ـ التي لا يمكن أن تصبح، ب ـ كالصوف؛ الذي لا يُمكن أن يصبحَ سيفاً.

فالقوَّة ضروريةٌ. لكلِّ تَغيُّرٍ من حال إلى حال.

الحركة: هي الانتقالُ من القوَّة: إلى الفعل. والطبيعة: هي مبدأ الحركة، وهي متَّصلةٌ، ويُحدِّدُها «أرسطو» بأنَّها: انتقالُ ما هو بالقوَّة إلى الفعل.

المحرِّك الأوّلُ: ينتقل «أرسطو» من دراسة الحركة إلى دراسة المحرِّك الأوّل، ويرى: 1 ـ أنَّ الحركة أزليةٌ لا بَدءَ لها ولا نهاية.

2 ـ أنَّ الأشياءَ تارةً متحرِّكةٌ، وتارةً ساكنةٌ.

3 ـ أنَّ كلَّ ما يتحرَّك إنَّما يُحرِّكه شيءٌ آخرُ خارجٌ عنه.

4 ـ أنَّ المحرِّكَ الأوّلَ لا يُحرِّكه شيءٌ خارجٌ عنه.

5 ـ أنَّ المحرِّكَ الأوّلَ أزليٌّ واحدٌ.

6 ـ أنَّ المحرِّكَ الأوّلَ لا أجزاءَ ولا أبعاد.

7 ـ أنَّ الحركةَ المكانيّةَ متصلةٌ. والحركةَ الدوريّةَ وحدَها متصلةٌ وغيرُ متناهية.

8 ـ أنَّ الحركةَ الدوريةَ هي النوعُ الرئيسيُّ من أنواع الحركات المكانية.

علم النفس:

النفس وقواها:

يرى «أرسطو» أن هناك أنواعاً مختلفة من النفس:

1 ـ النفس الغاذية: سواءٌ كانت من عالَم النَّبات، أو الحيوان.

2 ـ النفس الحاسَّةُ:

عند الحيوانات؛ حيثُ الشعورُ باللذَّة والألم، وفيها قوةُ الشَّهوة، وعن الشَّهوة تَنبثِقُ الحركة.

وأمَّا عند الإنسان: تَظهرُ قوّةٌ خاصَّةٌ هي العقل، ويَنبثِقُ عن الإدراك: المُخيِّلةُ، وتتحوَّل إلى ذاكرةٍ.

النفس والجسد:

إنَّ للنفس قوىً خاصّةً، لا يُشاركُها فيها الجسدُ، وهذا يعني: أنَّها تستطيع مفارقتَهُ.

ويرى «أرسطو»: أنَّ أكثر الظاهرات النفسية تُرافقُها حالاتٌ وانفعالاتٌ جسديةٌ. لذا يَرفُضُ «أرسطو» وجودَ جوهرَيْن مختلفَين: جوهرَ مادي، وجوهر رُوحانيّ، بل يرى: أنَّ النفس والجسدَ هما: عُنصران من جوهرٍ واحد، وليست النفسُ إلاَّ صورة الجسد. لذلك لا تستطيع هذه الصورةُ أن تعيشَ خارجةً عن مادّتها الجسد.

أمَّا رأيُ الفيثاغوريِّين: بأنَّ النفس تنتقلُ من جسد إلى جسد، فرأيٌ خاطئٌ وفاسدٌ.

إنَّ العقل الفعَّالَ عند «أرسطو» لا يعرِفُ الفناءَ، ويبقى بعدَ الجسد.

ميْزاتُ النفس:

1 ـ هي مبدأ للحركة، لكنَّها لا تتحرّك.

2 ـ هي تَعلَم.

3 ـ ليست من مادّة جسمانية.

4 ـ النفس هي صورة الجسد.

قوى النفس:

1 ـ قوة التغذية والتوليد: وهي القوَّة الأوليةُ في النفس الحيوانية.

2 ـ قوّة الإحساس (الحسُّ المشترَكُ): أي: قوة الإدراك، ولها وظائف:

إدراكُ إدراكنا، إدراكُ المحسوسات المشتركة، إدراكُ المحسوسات العَرَضيَّة.

3 ـ المخيلةَ: تَنتجُ عن الحسِّ، ولا تؤدِّي وظيفتَها مع غيابَ المحسوس، وتَنحصِرُ وظيفتُها في تكوين الصُّوَر التي تَحفظُها الذاكرةُ.

التذكر: هو استعادة ذكرى غابت عن الوجدان والشعور.

الرؤى: هي من نتاج المخيلة أي مما يبقى من إحساسات عابرة.

4 ـ الحركة: تَنجُمُ الحركةُ عن الشَّهوة، وهي قسمان:

آ ـ الإرادة: أي: الشهوة العقلية؛ التي تتوقُ إلى الخير.

ب ـ القوة النزوعية: أي: الشَّهوة البهيميةُ التي تَتوقُ إلى الخير الظَّاهر.

الفكر: إنَّ الفكرَ يقبلُ الصُّورةَ المعقولةَ، كما يقبلُ الحسُّ الصُّورةَ الحسيّةَ.

والفكر: قُدرةٌ بالقوَّة، ويصبح فعلاً بعد التفكير، وبالفكر نُدركُ ماهيّةَ الشيء، وبالإحساس الفعَّال نُدركُ الماهيّةَ في مادَّتها.

العقل الفعال والعقل المنفعل:

يقول «أرسطو»: «إنَّ في كلِّ كائنٍ ـ طبيعيٍّ، أو اصطناعيٍّ ـ عنصرين: عنصراً يُكوِّنُ مادّته، وعنصراً يُكوِّنُ صورتَهُ. وهكذا في النفس عقلٌ قابلٌ على أنْ يُصبحَ كلَّ شيء، وعقلٌ قادرٌ على أنْ يُحدثَ كلَّ شيء وهو مَلَكَةٌ، هذه المَلَكةُ تَجعلُ من المعقولات بالقوَّة معقولاتٍ بالفعل.

العقل الفعَّال: غيرُ قابلٍ للانفعال، غيرُ مُركَّب، أزَليٌّ لا يلحقُهُ الفَناءُ.

العقل المُنفعلُ: مُكوَّنٌ لا يَعقلُ بدون مساعدة العقل الفعَّال، قابلٌ للفساد.

ويرى «أرسطو»: أنَّ الوجودَ يبدأ بالكائنات الفارقة في المادة، ثمَّ الإنسان، ثمَّ الأجرامُ السماويةُ، ثمَّ المعقولاتُ، ثمَّ الله تعالى.

الميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة):

إنَّ غاية الإنسان هي الوصولُ إلى المعرفة. فلا بُدَّ من الأسباب القُصوى الكُليَّة الموصلَة إليها. ولا نجد المعرفةَ أو الحقيقةَ إلاَّ في الجوهر. فلا وجودَ إلاَّ للجوهر، أو ما لَه علاقةٌ به، أو ما كان صفةً للجوهر، أو ما هو مضافٌ إلى الجوهر.

وتُقسمُ الجواهرُ إلى:

1 ـ محسوسات أزلية.

2 ـ محسوساتٍ فانية.

3 ـ غير محسوسات، وهنا يعود «أرسطو» إلى نظرية المُثُل، وينفي كونَها قائمةً بذاتها.

وهذه الجواهرُ ليستْ من صُنعِ عُقُولنا، ولا توجد في ذاتها، كالمُثُلِ الأفلاطونية. بل توجدُ في الأشياء التي هي صفاتٌ لها.

الله:

جاء «أرسطو» بعدَّة براهين على وجود الله، وهي:

1 ـ الحَسنُ يَفترضُ وجودَ الأحسن.

2 ـ قانون الغائية؛ الموجود في العالم.

3 ـ الرُّؤى.

4 ـ الغريزةُ عند الحيوان.

الله عند أرسطو:

هو علّـةٌ فاعلةٌ، وعلّةٌ غائبةٌ في آن واحد. فالله يُحرِّكُ السماءَ والأفلاكَ والشمسَ، ويُنظِّمُ تَعاقُبَ الليل والنهار، ويُحْدِثُ جميعَ ظاهراتِ الحياة الأرضية، وهو يُحرِّكُ العقولَ من حيثُ هو موضوعُ شوقِها وحُبِّها.

إنَّ الله عند «أرسطو» لا يَعقلُ إلاَّ ذاتَه، ويُفكِّرُ في جوهر الأشياء، وفي ذاته، وهو لا يفعل شيئاً؛ إنَّه إلهٌ بالاسم لا بالفعل. يا له من إله فقير هذا الذي يَعتقدُ به «أرسطو»، إنَّه مَلكٌ لا يفعلُ شيئاً، ولا غرابة في أن يُحبَّ البريطانيون إلهَ «أرسطو»؛ لأنَّه صورةٌ طبقُ الأصل عن مَلكهم، أو صورةٌ عن «أرسطو» نفسه؛ إذ أحبَّ «أرسطو» التأمُّلَ والفكرَ لدرجة أنَّه ضَحَّى من أجلِ التأمُّلِ والفكر بمفهومه عن الله، إنَّه إلهٌ منعزلٌ في بُرجه العاجيِّ، بعيداً عن صراع الأشياء.

إنَّ الإله عند «أرسطو» الذي لا يَعقلُ إلاَّ ذاتَه أمرٌ مستحيلٌ عقيمٌ. وما يراه فلاسفةُ العرب: من أنَّ الله يَعرفُ ذاتَه، ويَعرفُ العالَمَ من وراء معرفته لذاته، هذه الفكرةُ لم تَخطُر على بال «أرسطو».

الأخلاق عند أرسطو:

إنَّ الإنسان بواسطة العقل يستطيعُ الوصولَ إلى الحكمة، والمعرفة، والفضيلة. من هنا نشأت آراءُ «أرسطو» في الأخلاق فاهتمَّ بها، وبدأ يسألُ عن الحياة الفاضلة: ما هي..؟ ما هو الخير..؟ ما هي الفضيلة..!!؟ كيف يُمكنُ بلوغُ السعادة..!؟

كان «أرسطو» واقعياً بسيطاً في خدمة أخلاقه، وقال: «إنَّ هدف الحياة ليس الخيرُ في حدِّ ذاته، بل في الوصول إلى السعادة، وقد صَدَقَ «سقراطُ» و«أفلاطون» عندما قالا: إنَّ غاية

الإنسان السعادةُ، ولكنَّهما لم يُصيبَا في تحديد طبيعة السعادة؛ إذ لا يمكن معرفةُ طبيعة السعادة إلاَّ بمعرفة وظيفتها)).

وظيفة السعادة:

إنَّ كلَّ عضو من أعضاء الجسم له وظيفةٌ خاصةٌ به. فالعين وظيفتها: البصر، والإنسان له:

1 ـ حياة نباتيَّة.

2 ـ حياة حسَّاسةٌ: يشترك فيها الحيوانُ والإنسانُ.

3 ـ حياة عقليةٌ، وهي خاصَّةٌ بالإنسان وحدَه.

ولا يمكن للإنسان أن يصلَ إلى الخير المحضِ، أو السعادةِ إلاَّ إذا عاش عيشةً عقليةً. فالسعادةُ هي الخيرُ الأسمى.

وتكتملُ سعادةُ الإنسان بـ: العقل، والمقدرةِ الفكريةِ التي تُميِّزُه عن غيره من الكائنات. فحياةُ العقل شرطُ السعادة.

1 ـ الحياة النظرية: هي حياة العقل؛ فيها يُفكِّرُ الإنسان، ويعقل ذاته، ولا يعيش هذه الحياةَ إلاَّ نُخْبةٌ من الناس؛ لأنَّها تخضعُ لشروط ليست في متناول الجميع.

2 ـ الحياة المعتدلة: هي حياةٌ يَسُوسُها العقل، ويعيشُها كلُّ الناس، وإنَّ كلَّ إنسان مُعرَّضٌ في حياته للإفراط والتفريط، والفضيلةُ تتوقَّف على ضبط النفس، والاعتدالِ، فهي حدٌّ وسطٌ بين حدَّين متقابلَين.

فالعاقل من يتجنب الطرفين ويسير في الطريق الوسطى؛ فطريق بُلوغ السَّعادة هي الطريقُ الوسطُ، والشجاعةُ فضيلةٌ وهي حدٌّ وسطٌ بين الجُبْن والتهوُّر.

والكرم فضيلةٌ، وهو حدٌّ وسَطٌ بين البُخْل والتبذير.

والطموحُ فضيلةٌ، وهو حدٌّ وسَطٌ بين الكسل والجَشَع.

والأمانةُ فضيلةٌ، وهي حدٌّ وسطٌ بين الكتْمان والثَّرثرة.

والاعتدالُ فضيلةٌ، وهو حدٌّ وسطٌ بين الخضوع والعُتُوِّ.

والصداقةُ فضيلةٌ، وهي حدٌّ وسطٌ بين الخصومة والتملُّق.

هذه النظرية في الفضيلة هي نقطةُ الارتكاز في المذهب الخُلُقيِّ عند «أرسطو». وهي تتعلَّق بالفضائل الخُلُقيَّة لا بالفضائل العقليةِ التي لا تفريطَ فيها، كـ: الحكمة، ولا يتحلَّى بها إلاَّ الحكيمُ.

ويمكن اكتسابُ الفضيلة بواسطة العادة والمران. ولا يكون الإنسانُ فاضلاً إلاَّ إذا كانت الفضيلةُ صفةً متأصِّلةً فيه، وأنْ يعملَ الخيرَ طيلةَ حياته؛ لأنَّ سنونواً واحداً لا يُبشِّرُ بقدوم الربيع.

إنَّ مبدأ الوسط؛ الذي سَمَّاه «أرسطو»: (الاعتدالَ الذهبيَّ)، ليس هو كلُّ السعادة؛ إذ إنَّ أنبلَ الأمور التي تُساعدُ على الوصول إلى السعادة هي الصداقةُ؛ لأنَّ الصداقة ضروريةٌ للإنسان السعيد أكثر من الإنسان التَّعيس؛ لأنَّها تزيدُ بمشاركة الآخرين.

والصَّداقةُ أهمُّ من العدالَة؛ لأنَّه لا حاجة للعدالَة عندما يكون الناسُ أصدقاءَ.

والصداقة تتطلَّبُ المساواةَ؛ لأنَّ الامتنانَ بعد الإحسان يؤدي إلى التقلُّب والتلوُّن، فيجب أن يتساوى لُطفُ المُحسن مع مَن أحسن إليه، كما يتساوى حُبُّ الفنَّان لعمله، وحُنُوُّ الأُمِّ على طفلها.

فنحن نُحبُّ ما صنعته أيدينا، وعلى الرَّغم من أنَّ عمل الخير ضروريٌّ للسعادة، فإنَّ جوهر السعادة يبقى في داخلنا، أي: يجب أن تكون السعادةُ في لذَّة الذِّهن؛ إذ إنَّ عملَ الفكر لا يَستهدفُ شيئاً وراءَ ذاته، فالإنسان الخيِّرُ سعيدٌ فكرياً لا يستهدف شيئاً آخر.

الإنسان المثاليُّ عند «أرسطو»:

يرى «أرسطو» أنَّ الإنسان المثاليَّ هو:

1 ـ الذي لا يُعرِّضُ نفسَهُ للمخاطر.

2 ـ الذي يعمل على مساعدة الناس، ولا يتلقَّى مساعدةً من الناس.

3 ـ صريحٌ في قوله، وفعله، وكراهيَته ومُيُوله، لا يتفاخر.

4 ـ لا يَهزُّهُ الإعجابُ بالنَّاس، أو إكبَارُهُم.

5 ـ لا يشعر بالغلِّ والحقْد والحَسَد.

6 ـ الذي يَغفرُ الإساءةَ ويَنسَاها.

7 ـ لا يُبالي بمَدحِ الناسِ أو ذَمِّهم.

8 ـ لا يُكثرُ الحديثَ.

9 ـ لا يَعجَلُ.

10 ـ لا يَغضَبُ.

11 ـ يتحمَّلُ نوائبَ الحياة بكرامة.

12 ـ شجاعتُهُ رَصينةٌ، وكلامُهُ موزونٌ.

13 ـ لا يتكلَّم بسوء عن الآخرين ولو كانوا أعداءً له.
14 ـ يَبتهِجُ في الوَحدةِ، بينما العاجزُ الجاهلُ المُجرَّدُ عن الفضيلة عدوٌّ نفسه يخشى الوحدةَ.

السياسة:

إنَّ آراء «أرسطو» في السياسة بَناها على نظريته في الأخلاق، فقال: «إنَّ المُلك والدولة والتعليم والأُسرةَ ضروريَّات للإنسان، بخلاف رأي «أفلاطون»؛ لأنَّ الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون العائلة. فكان له آراءٌ في: الزواج؛ فقال: «إنَّ الأُسرة السعيدةَ: هي التي تكون فيها المرأةُ شريكةً لزوجها، خاضعةً له، ويكون الأولادُ خاضعين لأبوَيهم يُكرِمونَهُم، ويجب على الآباء تربيَتُهم».

وقد ميّز «أرسطو» بين المرأة والرجل، وجعلها تابعةً له؛ لأنَّها ضعيفةُ الإرادة، عاجزةٌ عن الاستقلال، يجب أنْ يَحكُمَها الرجلُ في شؤونها الخارجية، ولها السيادةُ المنزليةُ فقط.

وقد نَصحَ «أرسطو» الرَّجُلَ، وعليه أنْ يأخُذَ بنصيحته: في تأخير الزَّواج حتى السابعة والثلاثين من العمر، وبعدئذ يتزوَّجُ من امرأة فوق العشرين من عُمُرها؛ وذلك لتحديد النَّسل، ولأنَّ الزواج المُبكِّرَ يُضرُّ بصحَّة الأطفال والزَّوجة، والفتاة في الزواج المُبكِّر تَنزِعُ إلى الطَّيش والهوى. أمَّا تأخيرُ الزواج فيُساعِدُ على الاعتدال.

ويجب أن يكون الزواجُ تحت إشراف الدولة التي تُحدِّدُ سنَّ الزواج لكلٍّ من الجنسَين، وتحددُ أفضلَ فُصُول الحَمْل، ومُعدّلَ الزيادة في السكان. فإذا كان مُعدّلُ الزيادة في السُّكّان مُرتفعاً، حَلَّ الإجهاضُ محلَّ وأد الأطفال؛ إذ يجب أن يكون عددُ السُّكَّان في الدولة محدوداً وصغيراً، فإذا كان العددُ كبيراً أصبح شعباً لا دولة، ويصبحُ عاجزاً عن حكم نفسه بنفسه، وعن إقامة حكومة دُستورية. فكلُّ زيادة للسُّكَّان عن عشرة آلاف فهي غيرُ مرغوبة.

التعليم:

يقول «أرسطو»: «إنَّ التعليم يجب أن يكون تحت إشراف الحكومة على المدارس، فلا بُدَّ من تعليم المواطن إطاعةَ القوانين والأوامر والقيادة معاً.

وإنَّ النظام المدرسيَّ الحكوميَّ وحدَهُ يستطيعُ تَحقيقَ الوحدة الاجتماعية، ويجب تعليمُ الشباب النِّعَمَ والبَركات التي أفاضتها الدولةُ عليهم، ويجب الاهتمامُ بتعليم الإنسان؛ لأنَّه

من الظُّلم إهمالُ شأنه، فهو أشدُّ خطراً على المجتمع إذا كان جاهلاً؛ لأنَّه يتمتَّعُ بذكاء ومُؤهِّلات قد يَستخدمُها في أسوأ الغايات، وإذا لم تتوفَّر له الفضيلةُ يكون أشدَّ وحشيةً من الحيوان؛ يَميد بالشهوة، والشَّراهة. فالضَّبطُ والتربيةُ يعطيانه الفضيلةَ.

الدولة:

إنَّ الدولة ضروريةٌ؛ لأنَّ الإنسان اجتماعيٌّ بالطَّبع، لا يَسعَدُ إلاَّ بالحياة الاجتماعية، وعلى الدولة أن تُؤمِّنَ له الأملاكَ الضرورية، والتربيةَ العقليةَ، والجسميةَ؛ لأنَّ العقل السَّليمَ في الجسم السليم.

ولا فرق في أن يكون الحكمُ مَلكياً، أو أرستقراطياً، أو ديمقراطياً؛ لأنَّ المُهمَّ أن تُحقِّقَ الدولةُ النفعَ المشترَكَ للجميع.

الدِّيمقراطية والأرستقراطية:

إنَّ الحكومة المثاليةَ هي: التي تُركِّزُ جميعَ السُّلُطات السياسية في أفضلِ إنسان. وأفضلُ نظام للحكومة هو:

الأرستقراطية وهي: حكمُ القلَّة من المثقَّفين، وأصحاب المؤهِّلات.

وإنَّ انتخابَ هؤلاء القلَّة من الأفراد لا يكون من قِبَلِ الشعب؛ لأنَّه لا يعرف أهلَ العلم والفضلِ والحكمة إلاَّ أهلُ العلم والحكمة.

ويجب أن لا تقوم هذه الأرستقراطيةُ على قاعدة اقتصادية؛ لأنَّ المناصب لا تُباعُ ولا تُشْرى، والقانون الذي يَسمَحُ بذلك يجعلُ الثروةَ أكثر أهميَّةً من المَقدرة والمؤهِّلات؛ وبذلك يَسودُ الدولةَ شراهةُ المال والثروةُ.

أما الديمقراطية: فهي نتيجةُ ثورة على حكومة الأغنياء، ومحاولةُ تَخلُّص الجماهير من أسيادها، وإقامة حكومة ديمقراطية. والحكمُ الدِّيمقراطيُّ له بعضُ الفوائد، ولكن يبقى أقلَّ مرتبةً وقُدرةً من الأرستقراطية؛ لأنه يقوم على المساواة الكاذبة، ولأن الانتخاب لا يتم بشكل حقيقي ومن الأجدر أن يتم الانتخاب بأن يكون مقصوراً على العقلاء فقط.

وأفضلُ حكومةٍ هي حكومةُ المتعلِّمين الأرستقراطيين.

الحكومة الدستورية: تقوم على هـذا الاتحاد بين الأرستقراطية والديمقراطية. والذي يَدعَمُ الحكومةَ الدستوريةَ وسطٌ بين الديمقراطية والأرستقراطية، وبذلك يؤكد أرسطو على الاعتدال الذهبي حتى في السياسة.

نقد أرسطو:

1 ـ إصرار «أرسطو» على المنطق، وبذلك يعود الفضل إليه في وضع علم المنطق.

2 ـ افتقار «أرسطو» إلى التجربة، والاختبار، والآراء العلمية؛ إذ بقيَ علمُهُ عن الطبيعة كتلةً من الملاحظات الفجَّة، ولكن عصره لم يكن عصرَ علم؛ لذلك لا يؤخذ عليه هذا التقصير.

3 ـ إنَّ أخلاق «أرسطو» فرْعٌ عن مَنطقه: كان معتدلاً إلى حدِّ الإفراط، وكان يخشى الفوضى لدرجة أنسَتهُ الخوفَ من العبوديةَ والرِّقِّ، وكان يخشى التغييرَ لدرجة دفعتهُ إلى الجُمود والموت.

4 ـ يُعتبرُ «أرسطو» أعظمَ مُفكِّرٍ ثقَّف العالَمَ ونَوَّرَه، ووقفت الأجيالُ على كتفيه لترى الحقيقةَ.

5 ـ تُرجمت فلسفتُهُ إلى العربية، والسّريانية، واللاَّتينية، حتى بلغت كل العالم الأوربي والإسلامي.

6 ـ كانت فلسفةُ «أرسطو» بالنسبة إلى الفلسفة الأوربية بمنزلة الإنجيل للدِّين، وكان «أرسطو» يُدَرَّسُ في كلِّ مدرسةٍ مسيحية، وفَرضت الجمعياتُ الكَنَسيّةُ عقوبةَ الضَّلال على المُنحرفين عن آرائه.

7 ـ بقي تأثيرُ «أرسطو» حتى ظهور العلوم الحديثة، والتجارب الواسعة على يد «بيكون روجر راموز» أدَّت إلى انتهاء تأثير «أرسطو»، وسيطرتِه؛ إذ لم يتحكَّم عقلٌ آخرُ في عقول البشر هذه المدةَ الطويلةَ مثلُ «أرسطو».